من إنسان ما بعد الموحدين إلى الإنسان المستعاد في الفكر الإسلامي المعاصر –رؤية نقدية–

د/ زبيدة الطيب: أستاذ محاضر أ

الطالب: دحمان عزوز

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

الملتقى الوطني حول:

سؤال الإنسان بين نصوص التراث والفكر الإسلامي المعاصر –مقاربة في استعادة نموذج الإنسان

تنظيم: مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان

بتاريخ: 14 فيفري 2021

الملخص

تهدف الورقة إلى مساءلة وضع الإنسان في الفكر الإسلامي المعاصر منذ إنسان ما بعد الموحدين الذي هو تعبير عن انسحاب المسلمين من المشهد الحضاري عند مالك بن نبي إلى الإنسان المستعاد الذي هو محاولة لاستعادة مكانة الإنسان في العالم الإسلامي من خلال علم الكلام الجديد، وهي تحاول الإجابة عن تساؤل رئيسي وهو: هل يمكن القول بأن الفكر الإسلامي المعاصر يشكل نسقا فكريا ورؤية متكاملة بإزاء موضوع الإنسان ونزعة الأنسنة في المجال العربي الإسلامي؟ أم أن كل من النظرتين تشكل رؤية خاصة ومغايرة للأخرى؟ وبتعبير آخر: كيف يمكن تقييم رحلة البحث في الفكر الإسلامي المعاصر من إنسان ما بعد الموحدين إلى الإنسان المستعاد؟ وتتفرع عن هذا الإشكال الرئيس تساؤلين فرعيين يشكلان عناصر الدراسة؛ وهما: هل باتت مقوله إنسان ما–بعد الموحدين قاعدة ومسلمة ؟ وهل يقوم الإنسان المستعاد في علم الكلام الجديد على فرضيات صحيحة ؟ وللإجابة عن تلك الإشكالية ومجموع التساؤلات التي تفرعت عنها اخترنا أن يكون عنوان المداخلة: **من إنسان ما بعد الموحدين إلى الإنسان المستعاد في الفكر الإسلامي المعاصر–قراءة نقدية–**

summary

The paper aims to question the status of man in contemporary Islamic thought since the post-monotheistic man, which is an expression of the withdrawal of Muslims from the civilized scene of Malik bin Nabi to the restored man, who is

an attempt to restore man's place in the Islamic world through the new science of theology, and it tries to answer the question The main question is: Is it possible to say that contemporary Islamic thought constitutes an intellectual system and an integrated vision regarding the issue of man and the humanization tendency in the Arab-Islamic fe other? In other words: How can the research journey in contemporary Islamic thought be evaluated from the post-monotheistic man to the restored man? Or does each of the two views constitute a special and different view of the other? In other words: How can the research journey in contemporary Islamic thought be evaluated from the post-monotheistic man to the restored man? From this main problem, there are two sub-questions that form the elements of the study. And they are: Has the saying of a post-monotheistic person become a rule and a Muslim? Is the restored person in the science of new speech based on correct hypotheses? In order to answer this problem and the sum of the questions that branched out from it, we chose the title of the intervention to be: From the Post-Unitarian Man to the Restored Man in Contemporary Islamic Thought - Critical Reading -

مقدمة

إنسان ما–بعد الموحدين هو تاريخ انسحاب المسلمين من المشهد الحضاري العالمي، وانتهاء نبض حضارتهم في بلاد الأندلس والمغرب، وتشخيص دقيق لأهم أسبابه، وهو التحول الذي طرأ على الإنسان في تلك الديار؛ من الفاعلية إلى السلبية إلى القابلية للاستعمار وانتهاء بالانسحاب النهائي.

أما الإنسان المستعاد؛ فهو بحث في إمكانية الرجوع إلى المشهد الحضاري من خلال استعادة الإنسان؛ بوصفه أحد أهم العناصر الثلاث التي تقوم عليها الحضارة، وهي: الزمن، الإنسان، التراب، وتصحيح لما يُعتقد أنه مسارات خاطئة؛ أقصت الإنسان وأفرغت علم الكلام القديم من مضامينه الإنسانية.

إن الناظر في مشروع الإنسان المستعاد؛ يلحظ وكأنه محاولة عملية تتغيأ الإجابة عن سبب التشوه الذي أصاب تركيبة الإنسان المسلم، وتعمل على إصلاحها من خلال العودة إلى مصادر الإصلاح والتهذيب الأساسية والأولى؛ ونقصد بها النص القرآني. وبتعبير آخر كأننا أمام مشهد فكري نضيج؛ يحاول أصحاب الإنسان المستعاد الاستفادة والبناء على تشخيص إنسان ما بعد الموحدين.

إن ما سبق بيانه يجعلنا نتساءل :هل يمكن القول بأن الفكر الإسلامي المعاصر يشكل نسقا فكريا ورؤية متكاملة بإزاء موضوع الإنسان ونزعة الأنسنة في المجال العربي الإسلامي؟ أم أن كل من النظرتين تشكل رؤية خاصة ومغايرة للأخرى؟ وبتعبير آخر: كيف يمكن تقييم رحلة البحث في الفكر الإسلامي المعاصر من إنسان ما بعد الموحدين إلى الإنسان المستعاد؟ وتتفرع عن هذا الإشكال الرئيس تساؤلين فرعيين يشكلان عناصر الدراسة؛ وهما: هل باتت مقوله إنسان ما-بعد الموحدين قاعدة ومسلمة ؟ وهل يقوم الإنسان المستعاد في علم الكلام الجديد على فرضيات صحيحة ؟ وللإجابة عن تلك الإشكالية ومجموع التساؤلات التي تفرعت عنها اخترنا أن يكون عنوان المداخلة: **من إنسان ما بعد الموحدين إلى الإنسان المستعاد في الفكر الإسلامي المعاصر– قراءة نقدية–**

إنسان ما بعد الموحدين في فكر مالك بن نبي:

يشكل ارتباط الحضارة بالإنسان على المستوى الفكري موضوعا متداخلا وضاربا في أعماق الفكر النظري والعقلي ،وهو ما يقودنا الى مدارسة العلائق بين الإنسان والحضارة كمسار مشهود وسيرورة تاريخية ،ما يحتم علينا البحث في مسار حضارتنا الإسلامية كجزء من الميراث الإنساني عموما والإسلامي بخاصة في محاولة تعقل مراحلها .

وفي هذا السياق الفكري برزت طروحات فكرية تحقب لأدوار الفرد المسلم الحضارية صعودا ونزولا، وأهمها ما أورده فيلسوف الحضارة مالك بن نبي في سياق مدارسته للحضارة الإسلامية ،مما انتج قراءة فاعلة لهذا المسار الحضاري أوعزت العقل المسلم الراهن الى التوجه نحو العقد النظرية في تراثنا الفكري ودعت الى معالجة اهم أسباب التخلف والانحطاط بدل استهلاك الجهد النهضوي في معالجة الآثار بدل الأسباب الرئيسية للانهيار الحضاري.

لقد مثل مالك بن نبي نموذجا فاعلا في بحث علاقة الانسان بالحضارة ،فاعتبر مالك بن نبي الإنسان محورا أساسيا في بناء الحضارة وعاملا مؤثرا في قيامها او هبوطها،"فالقضية ليست قضية أدوات ولا

إمكانيات بل إنَّ القضية في أنفسنا إذ علينا أنْ ندرس الجهاز الاجتماعي الأول وهو الإنسان، فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ وإذا سَكن الإنسان سكن المجتمع والتاريخ"[1] .

فمتى كانت العلاقة بينهما-أي بين الإنسان والحضارة- علاقة امتزاج وتجانس أفضى ذلك الى صعود وهبوط متلازم بينهما ،وهو ما يؤكده ابن نبي في كتابه القضايا الكبرى معتبرا "أن الحضارة الإسلامية انتهت منذ الحين الذي فقدت في أساسها قيمة الإنسان، وليس من التطرف في شيء القول بصفة عامة أن الحضارة تنتهي عندما تفقد في شعورها معنى الإنسان"[2].

لقد ربط ابن نبي بين زوال الحضارة الإسلامية وبين فقدان قيمة أهم عناصرها وهو الإنسان ،وهو ما حصل لحضارتنا الإسلامية التي تراجع منحنى صعودها منذ بداية هذا التعارض بين قيمية الانسان ومنتج الحضارة ما أورث تخلفا حضاريا كان نتيجة لمرحلة طويلة من الانهيار في عالم الأفكار والثقافة، وهاته المرحلة الطويلة من التخلف، يسميها مالك بن نبي مرحلة ما بعد الموحدين.

لقد مثل إنسان- مابعد الموحدين - حدث ارتكاز استند عليها ابن نبي في التحقيب لمرحلة جديدة توجت —حسبه- مسارا طويلا من تداعي الحضارة الإسلامية نظير عدة عوامل أهمها فقدان قيمة الانسان ،يقول ابن نبي:" فقد عانى المسلم على العموم ،فهو الانسان الذي خرج من حضارة وكابد مؤثرات هذا التقهقر ،وعالم مابعد العهد الموحدي يمثل عالما ذا بعدين هما :الشيء والشخص ،فهو عالم فاقد لبعد الفكرة ،ولا يزال هذا الإنسان في السن النفسانية المتطابقة مع الأشياء؛ وفي هذه السن يكون المجتمع مجردا من ثقته في الأفكار؛ فالفكرة لا يتم تقييمها لديه كوسيلة للنشاط الاجتماعي، أو السياسي، وإنما هي مجرد حيلة للفكر المتميز وترف زائد. وعالم ما بعد العهد الموحدي يمثل عالما ذا بعدين هما: الشيء، والشخص؛ فهو عالم فاقد لبعد الفكرة...والاتصال بيننا لا يتم عن طريق الأفكار"[3].

وهذا هو الذي أشار إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما قال: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**». فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل» [4].

---

[1]- مالك بن نبي، تأملات، بيروت، دار الفكر المعاصر، ص129.

[2] - مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق – سوريا، 1410هـ -2000م،ص،164.

[3]- القضايا الكبرى ،ص 125.

[4] سنن أبي داود 111/4.

ليس صدفة إذا أن نشهد هذا الانهيار ،فقد رجع مالك بن نبي إلى أصل الأزمة الحضارية الإسلامية منذ صفيت في عام 37 هـ،حيث يقول :" ومنذ ذلك الانفصال الأول فقد العالم الإسلامي توازنه الأولي، على الرغم من بقاء الفرد المسلم متمسكاً في قرارة نفسه بعقيدته التي نبض بها قلبه المؤمن[1] ".

فمالك بن نبي يؤسس لمرحلة مابعد الموحدين بمرحلة قبلها وهي معركة صفين حين اعتبر ان الانسان المسلم بدا بعدها مرحلة الدورة الحضارية–حسب تعبير ابن نبي–والتي ترتبط أساسا بالإنسان كمتغير فاعل في مسار الحضارة ،فيقول ابن نبي في كتابه شروط النهضة : "وقبل بدء دورة من الدورات أو عند بدايتها يكون الإنسان في حالة سابقة للحضارة أما في نهاية الدورة فإن الإنسان يكون قد تفسخ حضاريا وسلبت منه الحضارة تماما، فيدخل في عهد ما بعد الحضارة"[2].

وهو ما يقود ابن نبي الى اعتبار هذه المرحلة —مرحلة تخلف– وخروج من الحضارة ،والانسان الذي يعيش هذه الظرفية هو انسان ما بعد الحضارة " فالمسلم الآن لا يعيش حالة «حضارة» وإنما هو من بقايا حضارة وهي الحضارة الإسلامية طبعاً، ولابد من إدخاله مرة ثانية في دورتها، فالإنسان السابق على الحضارة (العربي قبل البعثة مثلاً) هو مثل جُزَيء الماء قبل وصوله إلى خزان ينتج الكهرباء، فهذا الجزيء منطو على طاقة مذخورة، قابل لتأدية عمل نافع، ولكن هذا الجزيء يفقد طاقته بعد أن استنفذها في إنتاج الكهرباء، وإذا أردنا أن نعيد له قوته علينا أن نرفعه مرة ثانية إلى مكان عال، أو أن يتبخر ثم يتكثف ليعود جزءاً من طاقة مائية تقع قبل خزان معين [3].

هذا الواقع المأزوم للفرد المسلم تناهى الى كتابات كثيرا من رجالات الإصلاح والحركات الإصلاحية ،يقول مسعود الندوي: فلا يخفى على من له إلمام بمجريات التاريخ الإسلامي ذلك الانحطاط العلمي والفكري الذي أحاط بالعالم الإسلامي سرادقه وأناخ عليه منذ القرن الثامن للهجرة ، فقد أغلق الفقهاء باب الاجتهاد ، وتلقوا متون مؤلفات المتأخرين وحواشيها بالقبول في حلقات دروسهم ، وكذلك تسرب إلى المجتمع الإسلامي وهن في خلق أهله وشمائلهم لاستيلاء أمراء الجهلة على أمورهم واستبدادهم بالأمر دون غيرهم ، فذب فيهم الانحطاط دبيب الديدان في العود إلى أن استفحل الأمر واشتد الخطب ، وبلغ الأمر مبلغاً ، بكى الصديق ورثي له العدو الشامت" [4].

---

[1]– مالك بن نبي ،وجهة العالم الإسلامي ،ص121.

[2] ابن نبي: شروط النهضة، ص70.

[3] شروط النهضة / 106 .

4 – مسعود الندوي ،تاريخ الدعوة الإسلامية، دار العربية ،بيروت، ص 133.

لقد استند ابن نبي في توصيفه–لإنسان مابعد الحضارة–أو إنسان المتخلف حضاريا إلى مفهومه أصلا حول الانسان المهيأ للفعل الحضاري معتبرا أن "الإنسان الذي تفسخ حضاريا مخالف تماما للإنسان السابق على الحضارة أو الإنسان الفطري، فالأول ليس مجرد إنسان خارج عن الحضارة فحسب كما هي الحال مع الثاني الذي سميناه فيما سلف الإنسان الطبيعي إذ الإنسان المسلوب الحضارة لم يعد قابلا لإنجاز أي عمل متحضر إلا إذا تغير هو نفسه عن جذوره الأساسية. وعلى العكس من ذلك فإن الإنسان السابق على الحضارة يظل مستعدا كما هي الحال مع البدوي المعاصر للنبي للدخول في دورة حضارة"[1].

وبناءا على هذا التوصيف يذكر ابن نبي أن إنسان ما بعد الموحدين بدأ بتلقف أفكار ميتة من غث التراث الإسلامي مما أورثه مشكلات فكرية وذهنية أودت به حد *القابلية للإستعمار*،حيث كان مالك بن نبي عميقا في فهم غور الاستعمار وأساليبه الخفية للتسلط على العالم الإسلامي، فقد حذر من (القابلية للاستعمار) عند المسلمين باعتبارها من الأفكار الميتة ووجه الفكر إلى خطورتها لمعالجتها جذريا :ذلك أن " نجاحه مرتبط بتناول المشكلة من جانبيها معاً (الاستعمار والقابلية للاستعمار)، فإذا نظرنا إلى جانب دون الآخر فقد غامرنا برؤية مشكلة مزيفة " [2].

من هذا المنطلق نوه ابن نبي إلى مشكلة الإنسان المسلم منذ ما بعد الموحدين المنهار حضاريا؛ حيث " يرى المسلم أن الأمور مستحيلة ويقف أمامها عاجزاً، وهي في الحقيقة غير مستحيلة ولكن ربما يضخمها عمداً حتى لا يتعب نفسه في الحل، أو أنه يشعر بضآلة نفسه وصغر همته فيحكم عليها بالاستحالة، وقد مرت فترة كانت بعض الشعوب تنظر إلى صعوبة إخراج المستعمر من بلادها "[3].

وهكذا تتبع ابن نبي مراحل استشراء الأمراض المجتمعية في جسد الحضارة الإسلامية ، ولكن المرض ازداد فشواً في مجتمع (ما بعد الموحدين)، فأصبح المسلم نتيجة لغروره لا يحاسب نفسه، ولا يعترف بأخطائه، وأصبحت المعادلة: (بما أن الإسلام دين كامل وبما أنه مسلم، فالنتيجة أنه كامل، وبذلك اختلت أي حركة عنده لزيادة الجهد والتقدم)[4].

والخليق بالذكر أن ابن نبي وافقه كثير من رجالات الإصلاح الديني الذين عنوا بالحضارة الإسلامية وتنبهوا إلى خطورة الوضع القائم كمحمد إقبال الذي اتجه الى مدارسة ظروف المسلم المعاصر التي تتميز بالركود الفكري والانحطاط الاجتماعي والضعف والتخلف في وقت يملك فيه المسلمون عقيدة التوحيد

---

[1] شروط النهضة، ص70.

[2] وجهة العالم الإسلامي ،ص 86.

[3] وجهة العالم الإسلامي ،ص 80 .

[4] –وجهة العالم الإسلامي ،ص 77 .

وشريعة سمحاء ،كل من العقيدة والشريعة في الإسلام جعلت المسلمين الأوائل أصحاب حضارة ورقي وازدهار ، ولقد كان سبب هذا الركود إغلاق باب الاجتهاد ونضوب بئر الفقه لدى العلماء وفقهاء هذا الزمان وتدني الأخلاق ، واستيلاء أمراء الجهل على أمور الحكم .

" لقد نظر إقبال حواليه ، فماذا رأى ؟ ، المسلمون يرتعون في بيداء الجهالة ، ويضربون في نيافي الغفلة ، والإسلام الناصع الحي أصبح عنوان الذلة والفقر والضياع ، تلوثت عقائده بفعل الكائدين والمخادعين ، وجرى العبث في شرائعه بقعل المتزمتين ؛ لذا أصبحوا محكومين بعد أن كانوا حاكمين ... وشيء آخر أدركه إقبال إن الناس يهابون الحكام ويخافونهم ، وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، لكن هذا الخوف وتلك الهيبة أصبحت ضرباً من العبودية المقيتة ، ونوعاً من التأليه السخيف ، لذلك صار العسف فريضة، والقانون هوى متبعاً ، والمثل العليا مطية للأغراض والشهوات "[1].

ونظرا لعمق فكر ابن نبي توجه إلى الجانب الديني والعقائدي في نفسية الفرد المسلم في مرحلة مابعد الموحدين فوجد أن الإنسان المسلم لا يزال يحتفظ بعقيدته التي تشكل مرتكزا هائلا للفعل والسلوك الحضاري. غير أن الواقع المأزوم يشهد بعكس ذلك مما أوصل ابن نبي إلى تشكيل تصور قوامه أن الفرد المسلم فقد الفاعلية الحضارية نتيجة عوامل الأفكار الميتة، وهو ما يستدعي إعادة تفعيل دور العامل العقدي في نفسية المسلم وسلوكه ،وهو ما يوضحه عبر قوله: " والمسلم – حتى ما بعد الموحدين – لم يتخل مطلقا عن عقيدته، فلقد كان مؤمنا، ولكن عقيدته تجردت عن فاعليتها، وإن مشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله بقدر ما هي أن نشعره بوجوده ونملأ به نفسه " [2].

تأسيسا على ما سبق اعتبر ابن نبي أن إنسان مابعد الموحدين هو إنسان متواكل متخلف حضاريا ،متنازل عن حقه ،لا يحترم الوقت ولا يتجه للفعل الحضاري وهذا الواقع المختل للإنسان المسلم جعله لا يعرف رسالته التي هي الشهادة على الناس وتحقيق الاستخلاف في الأرض .

وبالواقع هذا فقد اتجه ابن نبي إلى انتقاد مخرجات " علم الكلام" و "التصوف الإسلامي "باعتبارهما سببين لتغذية التخلف الحضاري للإنسان المسلم بدل أن يكونا خادمين وموجهين لعكس ذلك .

ولذلك انتقد منهج المدرسة الإصلاحية في إحيائها (لعلم الكلام) يقول منتقداً الشيخ محمد عبده الذي (ظن كما ظن فيما بعد الدكتور محمد إقبال أن من الضروري إصلاح علم الكلام بوضع فلسفة جديدة حتى يمكن تغيير النفس، بيد أن كلمة (علم الكلام) ستصبح قدراً مسلطاً على حركة الإصلاح

[1]–نجيب الكيلاني، إقبال الشاعر الثائر، ط 3، مؤسسة الرسالة، 1400هـ / 1980م، ص 42.

[2] وجهة ع إ،ص48.

الذي حاد بها جزئيا عن الطريق) [1] ، كما انتقد علم الكلام معتبرا أن (علم الكلام يمجد الجدال ويشوه المشكلة الإسلامية، ويفسد طبيعتها، حيث يغير المبدأ السلفي في عقول المصلحين أنفسهم) [2].

هذا المسلك من ابن نبي وافق فيه كثيرا من المفكرين المعاصرين أبرزهم الشيخ محمد الغزالي الذي مايز بين علم الكلام في نشأته الأولى وبين ما وصل إليه من مسار يسهم في التخلف ويدعو إلى الفرقة ويغرق في العقلانية التي تبتعد عن الفيوض الروحانية ،فيقول الغزالي[3] :" ثم إن هذا المنهج في العرض والرد على الخصوم قد صار في كثير من الأحيان أشبه بالقضايا الرياضية ، التي قد تبهرِ العقل بما فيها من اتساقٍ وانسجامٍ بين المقدمات والنتائج، وبما فيها من مهارة عقلية في استخلاص الأدلة، وملاحظة مواطن الضعف في كلام الخصوم، والتنبه إلى دقائق التعبير في النصوص الشرعية عند الاحتجاج بها، ول كن هذا يمضي في طريقه دون أن يعني كثيرا بجانب مهم من مقومات الإقناع التي تحدث تأثيرها في الإنسان، وهو جانب الشعور والوجدان، فالإيمان ليس نتاج العقل وحده، بل إنه نتاج طاقات الإنسان كلها".

ولان المسلم يتفرد عن غيره بما يحوزه من هوية إسلامية أصيلة تستند إلى القرآن الكريم بوصفه الكتاب الخالد الذي يطفح بإجابات كونية وجودية ويقود المسلم الى الفعل والنهضة في مسار تكاملي مع كونه الفسيح فقد لاحظ ابن نبي أنه–رغم هذا الرصيد–فإن " المسلم يحمل القرآن ولكنه لا يستفيد منه كثيراً في التخطيط لنهضة قادمة، فعقلية ما بعد الموحدين تشله عن الإبداع، هناك خلل في طريقة تفكيره، فعندما اكتشف ابن النفيس الدورة الدموية لم يستفد منها المجتمع الإسلامي لأنه لم يكن على المستوى الثقافي الذي يحيط هذا الاختراع بالرعاية، والمشكلة: أن مجتمع ما بعد التحضر يسير إلى الخلف بعد أن انحرف عن طريق حضارته وانقطعت صلته بها [4].

ومع ذلك فإن بحث المفكر مالك بن نبي بخصوص الإنسان، على أهميته، لم يمثل سقفا معرفيا نهائيا، ولذلك وجدنا الفكر الإسلامي يتجه خطوات مهمة في اتجاه هذا الموضوع وصولا إلى ما بات يعرف بالإنسان المستعاد الذي يظهر في مشروع الكلام الجديد وفلسفة الدين. فما المقصود بفكرة الإنسان المستعاد في علم الكلام الجديد وفلسفة الدين؟

مفهوم الإنسان المستعاد في علم الكلام الجديد وفلسفة الدين:

---

[1] وجه العالم الإسلامي ،ص47.

[2] وجهة العالم ،ص49.

[3] – محمد الغزالي ، عقيدة المسلم، دار الدعوة، ط2، 2008م،ص 07.

[4] مشكلة الأفكار ،ص 43 .

تقوم فكرة أو مقولة استعادة الإنسان على فرضية القطيعة التي حدثت بين الإنسان والله في الفكر الغربي والتي امتدت تأثيراتها إلى الفكر الإسلامي ، وعلى فرضية افتقار المعرفة الكلامية للبديل الذي من شأنه رأب الصدع واحتضان الإنسان وإبقائه في الحماية الإلهية؛ ولذلك جاءت مقولة استعادة الإنسان بمثابة العودة إلى العلاقة الصحيحة بين الدين والإنسان في الإسلام؛ أي استعادة الإنسان إلى رحاب الدين وضرورة توثيق علاقته بالله تعالى.

فالإنسان المستعاد مقولة؛ يراد بها عودة الإنسان إلى الله بعد القطيعة التي أحدثها الفكر الوضعي الغربي بطرد الإنسان من رحاب الدين وقطع علاقته بالله، والتي أسهم فيها في المجتمعات الإسلامية خلو أو فراغ علم الكلام من المعرفة التي تلبي حاجة الإنسان الوجودية للدين والله.

وعليه فالإنسان المستعاد؛ فهو الإنسان المهزوم روحيا وأخلاقيا وقيميا، هو إنسان فقد الحب والأمان؛ هو الإنسان الذي لم يعرف الله عز وجل إلا معذبا، ولم يعرف الدين إلا جملة من القوانين والفتاوى الصارمة والعبادات الشكلانية؛ باختصار هو الإنسان الذي يتحدث لغة الإقصاء والكراهية والطائفية.

إن الإنسان المستعاد هو الإنسان الذي اختطفته الجماعات المسلحة التي تتغذى على مقولات ونصوص الكلام القديم؛ الذي أقصى الإنسان من دراسته واهتمامه، وأمعن في الانتصار للجماعة والمذهب والطائفة ولم يول اهتماما للقيم الروحية والإنسانية العابرة للإثنيات.

ولذلك تركز الأبحاث والدراسات؛ الخاصة بعلم الكلام الجديد على نقد علم الكلام في صورته القديمة؛ واعتبارها مشاركا في الهزيمة النفسية التي لحقت الإنسان في المجتمعات الإسلامية، والتي تحدث عنها مالك بن نبي في إنسان ما بعد الموحدين. والتي أفضت إلى تركيب القابلية للاستعمار، وتركز تلك الأبحاث النقدية خاصة على:

1/ فقدان الممارسة الكلامية في صورتها القديمة للحاجة الروحية والقيمية للإنسان.

2/ التركيز على الصورة الترهيبية لله تعالى وتعميمها وتجاوز الصورة الرحيمة له تعالى.

4/ الإيغال في التمذهب والانتصار للرؤى والأفكار، والمساهمة في تشكيل وعي طائفي ومذهبي وتعميم التطرف والتعصب والعنف ضد المخالف؛ بإشاعة الفكر التبديعي والتضليلي ضده.

إن تلك البحوث النقدية التي يوجهها علم الكلام الجديد؛ إنما يتقصد من ورائها إلى إظهار عجز الكلام القديم اليوم عن تقديم إجابات كافية لتساؤلات إنسان ما بعد الموحدين المستمرة؛ ولذلك وجدناه يبحث في علم كلام يعنى أكثر باستعادة الإنسان عن طريق:

1/ إعادة الوصل بين الإنسان والدين، وتجاوز القطيعة التي أحدثها الفكر الوضعي الغربي؛ باستعداء الإنسان للدين؛ وأسهمت في تكريسها في العالم الإسلامي الجماعات المسلحة؛ التي تستل معظم مقولاتها من الفرق الإسلامية والأبحاث الكلامية القديمة. بوصفها"... نظام الخطاب القابض من الوراء على الأبنية العميقة لكل من الواقع والعقل."[1] وإبراز الصورة الحميمية والجميلة للعلاقة بين الدين والإنسان؛ إذ الدين ليس عدوا للإنسان؛ بقدر ما هو رحمة ونعمة. ولا الإنسان عدو للدين؛ فهو مصدر حياته ومنهل الحب والخير الذي يزوده بكل أسباب السعادة والأمان. هذا هو معنى الإنسان المستعاد ولاهوت النزعة الإنسانية؛ الذي " يسعى إلى اكتشاف وظيفة الدين الأصلية في إنتاج معنى لحياة الإنسان. وهي وظيفة عجزت معظم الجماعات الإسلامية اليوم عن إدراكها، وأغرقت أنفسها والمجتمعات في نزاعات ومعارك يتجلى فيها كل شيء، سوى الأخلاق وقيم التراحم والمحبة في الدين"[2] ومن ثمة تصحيح تلك العلاقة "وتحويلها من صراع مسكون بالرعب والخوف والقلق، إلى علاقة تتكلم لغة المحبة، وتبتهج بالوصال مع معشوق جميل"[3]فعلم الكلام الجديد يبحث عن مكاسب روحية وأخلاقية للتصور الإسلامي أو العقيدة الإسلامية والتعاليم الدينية تكون في مصلحة الإنسان وخدمته.

2/ وهكذا ننتهي إلى تخليص الدين من الوظيفة القمعية التي فرضتها المدارس النفسية الغربية على الإنسان؛ بوصفه أحد الأنساق الرمزية التي تتولى وظيفة القمع والكبت، والتي تدفع إلى حالات القلق والاضطراب النفسي والسلوكي، كما تعتقد أغلب تلك المدارس.

3/ وينتج عن ذلك تصحيح لعلاقة الإنسان المسلم بالمخالف؛ من خلال انفتاحه عليه، والاستفادة من الإمكانات النظرية والتقريرات العقدية الثاوية في نصوص القرآن الكريم والسنة والداعية إلى قبول المخالف وإيلاء الاعتبار للإنسان من حيث كونه إنسان، وتجاوز الاعتبارات الإثنية سواء كانت عرقية أو دينية أو طائفية أو مذهبية التي ميزت الممارسة الكلامية في صورتها القديمة.

4/ تعول أبحاث الإنسان المستعاد على الاستفادة من مختلف الأبحاث والمناهج الغربية في التأسيس لفلسفة الإنسان في الفكر الديني الإسلامي، ولذلك وجدنا **الإنسان المستعاد** مشروع يتقصد الاستفادة من عدة مصادر أو مسارات في الفكر الإسلامي المعاصر، منها اليسار الإسلامي (حسن حنفي) والتأويلية الحديثة والإبستيمولوجيا الكونية (حاج حمد) والإسلاميات التطبيقية (أركون).

---

[1] / علي المبروك، علم الكلام وسؤال الواقع العربي الراهن –من نقد الممارسة إلى تفكيك نظام المعنى الكامن، ضمن كتاب: علم الكلام الجديد، ص 198.

[2]/ عبد الجبار الرفاعي: إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، بغداد، مركز دراسات فلسفة الدين، ط2، 2013،ص 9.

[3]/ المرجع نفسه، ص 11.

انتهى

خاتمة:

ختاما يمكن القول أن طرح مالك بن نبي بخصوص موضوع الإنسان يمثل أرضية؛ تبنى عليها أفكار التوجيه نحو الفعل الحضاري، ولا يمكن أن يكون سقفا معرفيا بسبب محدوديته الظرفية وسياقه التاريخي. ولذلك ينبغي أن يدرس وينظر إليه بمنطق تطور الأفكار الذي يدرس الفكرة وعلاقتها بالزمن والظرف، وليس كمنظور كامل ونهائي.

إن مقولة الإنسان المستعاد تعد من وجهة نظرنا تعبيرا عن المحدودية الظرفية التي تواجهها فكرة إنسان ما بعد الموحدين، ما يعني أن هناك قلقا واستئنافا معرفيا ينبغي الإقرار به وتثمينه بخصوص موضوع الإنسان في الفكر الإسلامي المعاصر؛ إذ نلحظ أن إنسان ما بعد الموحدين والإنسان المستعاد في علم الكلام الجديد؛ هو في الواقع بحث في محورية الإنسان في الفعل الحضاري في العقيدة الإسلامية. وإن كانت، كما أشرنا من قبل، النظرة إلى موضوع الإنسان، كغيره من الموضوعات والأفكار، إنما تخضع في بحثها ودراستها إلى منطق تطور الأفكار؛ الذي يدرس الفكرة وعلاقتها بالزمن بهدف الكشف عما طرأ عليها من تحولات أسهمت في تغيير النظرة إليها. أي أن ثمة تغيرات معرفية وواقعية أسهمت في تغيير آليات وطرق المعالجة بين الفكرتين أو المرحلتين. غير أن النسق العقدي التوحيدي باد في المعالجتين.

هناك ما يشبه التحرر من التأثير الغربي على نظرة مالك بن نبي لموضوع الإنسان في فكرة إنسان ما بعد الموحدين، في الوقت الذي يظهر التأثير الغربي في فكرة الإنسان المستعاد خاصة في الاستعانة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والنظر إليها كضرورة لفهم الموضوع.

إن مقولتي إنسان ما بعد الموحدين وكذا الإنسان المستعاد؛ تنزعان نحو تحميل علم الكلام المسؤولية في إقصاء الإنسان من دائرة الاهتمام، ومن ثمة إخراج الإنسان المسلم من الحضارة والفعل الحضاري بالرغم من قوة الفكرة الدينية (العقيدة) التي تولى علم الكلام شرحها وتقديمها بصورة سلبية.

ومع ذلك فإنه يمكن القول أيضا أن خطاب الإنسان، في الفكر الإسلامي المعاصر، وبالرغم من القول بالاستئناف؛ تتنازعه سياقات متعددة ومرجعيات مختلفة، وهو ما يحكم عليه بالقصور والحاجة إلى التجديد في عرضه لقضايا الإنسان المسلم المعاصر. ويظهر ذلك في الإنسان المستعاد من خلال ربط نشأة وممارسات الجماعات المسلحة بعلم الكلام ومقولات الفرق، وكذا في طغيان التأثير الغربي من ناحية نمذجة

العلوم الإنسانية والاجتماعية والنظر إليها كضرورة لفهم الموضوع؛ حيث المأزق الهوياتي في المعالجة بيِّنًا ظاهرا.

إن ما سبقت الإشارة إليه يقودنا إلى الدعوة إلى توجيه الخطاب الديني وتوسيعه نحو قضايا المسلم الراهنة بما أفرزته من مآزق هوياتية في ظل السياق التاريخي الحالي، وتأله الدولة الحديثة على الفرد الإنساني بما ينزع نحو تنميط وسلب الحرية وقولبة الإنسان المعاصر .

والسلام عليكم

قائمة المصادر والمراجع:

أولا– مصادر مالك بن نبي:

1/ تأملات، بيروت، دار الفكر المعاصر، 2002.

2/ القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق – سوريا، 1410هـ -2000م

3/ وجهة العالم الإسلامي، بيروت، دار الفكر المعاصر، 2002.

4/ شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر.

5/ مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، بيروت، دار الفكر المعاصر، 2002.

ثانيا– قائمة المراجع:

1/ أبو داود، سنن أبي داود، ج4.

2/ عبد الجبار الرفاعي: إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، بغداد، مركز دراسات فلسفة الدين، ط2، 2013.

3/ علي المبروك، علم الكلام وسؤال الواقع العربي الراهن –من نقد الممارسة إلى تفكيك نظام المعنى الكامن، ضمن كتاب: علم الكلام الجديد.

4/ محمد الغزالي ، عقيدة المسلم، دار الدعوة، ط2، 2008م.

5/ مسعود الندوي ،تاريخ الدعوة الإسلامية، دار العربية ،بيروت.

6/ نجيب الكيلاني، إقبال الشاعر الثائر، ط 3، مؤسسة الرسالة، 1400هـ / 1980.